سورة البقرة

المحاضرة الثامنة

الآيات من 36 : 40

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وبعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

- توقفنا في اللقاء السابق عند قوله تعالى:

" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ(36) "

واستكمالًا لما سبق:-

(حِينٍ):

- اسم للوقت (يصلح اسمًا للوقت كما أنه يصلح لجميع الأزمنة طالت أم قصرت)، كما أنه يُطلق على المدة قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)} (الإنسان)

- ويطلق على الجزء من الدهر قال سبحانه: { فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (54)} (المؤمنون)

- ويطلق على الغدو والمساء: { فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18)} (الروم)

- ويطلق على السنة وفصولها { تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25)} (إبراهيم)

أما (حِينٍ) هنا: فهي على وجهين:

1- إما أن يكون الخطاب لآدم على وجه الخصوص فيكون المقصود بالحين هو(إلى أن يموت آدم عليه السلام).

2- وإما أن يكون الخطاب لآدم وذريته والشيطان وذريته فيكون المقصود بالحين هو(إلى قيام الساعة).

" فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) "

(فَتَلَقَّى): الفاء للمبادرة، ودخلت على الفعل فكانت إيذانًا وإعلامًا وتنبيهًا بأن الشيء المُتلقى شيء مطلوب ومرغوبٌ فيه.

قال سبحانه (فَتَلَقَّىٰ) ولم يقل (فلقى) فما هو الفرق؟

1- التلقّي: تفعُّل أي تكلُّف، والتكلُّف لا يكون إلا مع أمر محبوب ومرغوب، فعندما قال الحق سبحانه:(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) عُلِمَ أن هذه الكلمات هي كلمات رحمة وتوبة لا كلمات زجرٍ وتوبيخ والدليل قوله (فتلقّى) وهي على العكس من (لقي)،

فالتلقي :تأتي في المسرة والإكرام قال ربنا:{ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103)} (الأنبياء) فيها دليل على أنهم مُستبشرون سعداء لأنهم مُقبلون على أمر عظيم(أي المؤمنون) كما أن الملائكة مُستبشرون أيضًا لأن هؤلاء هم عباد الله المخلصين.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، ....» [أخرجه البخاري(2150)]

- الشاهد: نهى النبي ﷺ عن تلقّي الركبان فلماذا؟

كانت القافلة تأتي بالضائع فيخرج إليها بعض التُّاجر ليتلقّوا ما فيها من البضائع بأسعار زهيدة قبل دخول القافلة البلد(وهذا الجزء خاص بفقه البيوع).

- أما كلمة(تلقّى): فكان المقصود منها الخروج خارج حدود البلد لأمر فيه إكرام ومسرة وفرحة وإقبال على الشيء نظرًا لما سيجنيه من خير نتيجة تلقيه للقافلة وأخذه ما فيها من بضائع وتحقيق المكاسب.

2- أما كلمة(لقي): فإنها تأتي في الأمر الغير مرغوب فيه (ليس محبوبًا)

قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ(15)} (الأنفال)

(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ): الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام لم تُذكر في هذه الآية ولكنها ذُكِرت في سورة (الأعراف)

قال ربنا:{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)}

(مِنْ رَبِّهِ): أضاف الربوبية إلى آدم وفي هذا تشريف لآدم وأيضًا فيها شكل من أشكال الودّ والله هو الودود، فمع ظلم آدم لنفسه واقترافه لما نُهِي عنه (أكل من الشجرة التي سبق أن نُهِي عن الأكل منها) ومع استجابته لإبليس إلا أن الرحيم الودود حين خاطب آدم خلا هذا الخطاب من التوبيخ ومن أي شيء يُشْعِر بالغضب

(الربوبية) نوعان: -

- الربوبية العامة: لكل عباد لله (من الإنس والجن سواء مؤمن أوكافر {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93)} (مريم)
- الربوبية الخاصة : وهذا النوع يقصد به تربية الرب سبحانه لأوليائه وأصفيائه تربية خاصة، وإضافة الربوبية لآدم عليه السلام كما سبق القول تُشعر بالتشريف والكرم والإحسان والمَن من الله عليه بالرغم مما فعله.

(فَتَابَ عَلَيْهِ):

أي فتاب الله عليه من الذنب الذي اقترفه.

ولكن ما المقصود بالتوبة من الله عز وجل؟ أصل كلمة توبة في اللغة: الرجوع، والتوبة من العبد: تعني الرجوع من الذنب إلى الطاعة ومن الإعراض إلى الإقبال، وأما التوبة من الله سبحانه فإنها تعني: رفع المؤاخذة والعفو عن المذنب إذا رجع العبد إلى

ربه تائبًا نادمًا مُقِرًا بما اقترفه من الإثم (المعصية في حق الله شديدة لو كانوا يفقهون).

(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ): جملة تعليلية، فلماذا تاب الله على آدم عليه السلام؟ لأن الله هو التواب الرحيم، (هُوَ): ضمير فصل (للتوكيد والحصر) فلا رحيمٌ ولا توابٌ إلا الله عز وجل : إذًا فكيف يكون ذلك وهناك من العباد مَن يتوب (يعفو أو يعتق) على عبده أو أمته في أزمنة العبودية، أو على ابنه أو على الغير؟

الرد: عفو العباد أو توبتهم على بعضهم البعض في حدود بشريتهم، وكذا رحمتهم ببعضهم بشرية.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ» سنن الترمذي(1924)
[حكم الألباني] صحيح
فعفو العباد أو توبتهم أو حتى رحمتهم ببعضهم رحمة قاصرة محدودة بحدود بشريتهم، ولكن(هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ): توكيد وحصر لحقيقة الرحمة وحقيقة التوبة حيث الكمال الذي لا يكون إلا لله سبحانه، فالتوبة على الحقيقة وكذا الرحمة على الحقيقة لا تكون إلا من الله الملك، لأن كل عمل وُفِقَ فيه العبد لا يكون إلا بتوفيق الله له فيه، وحتى ما وُضِعَ في قلوب العباد من رحمة فهي من عند الله الرحيم، فالرحيم والتواب على الحقيقة هو الله عز وجل قال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(31)} (النور)
لقد جاء خطاب الله بالتوبة لعباده المؤمنين وليس للعُصاة فقط، وفي هذا إشارة أنه يجب على الجميع التوبة حتى ولو كان للعبد

قِدَم في الطاعة وفي الدين ورسخ الإيمان في قلبه فالكُلّ يحتاج إلى التوبة.

تنبيه : مَن أراد أن يُحقق التوبة من أي ذنب يرى أنه كبير ومضت عليه أعوام وهو يُجاهد في سبيل تحقيق هذه التوبة عليه أن يعلم أن أمامه أمران:-

1- أن يُوفقه الله للتوبة كي يتوب العبد.

2- ثم يقبل الله توبته.

** فهذان الأمران يفتقر العبد فيهما إلى ربه، وبغيرهما لن تكون هناك توبة.

- والتوفيق إلى التوبة يحتاج إلى الدعاء والتضرع والتذلّل بين يدي الله عز وجل لأن الأمر كله بيده فإذا ما وجد العبد نفسه يخطو خطوات على طريق التوبة وبدأ الذنب ينخلع من قلبه ورأى هذا القلب مقبلًا على التوبة الحقيقية فعليه أن يسأل الله أن يمُن عليه بالقبول.

سؤال يطرح نفسه: لماذا لا يُوَفق البعض للتوبة ؟

هناك أربعة عوائق تحول بين العبد وبين تحقيق التوبة:-

1_ضعف الخشية : ليس في القلب الخشية الكافية للزجر والنهي عن فعل القبيح، ولو اكتملت الخشية في القلوب لما تجرأ القلب على الوقوع في المعصية.

وضعف الخشية يتولد عنه الاستهانة بالذنب، فكل مَن استهان بذنب من الذنوب فإن هذا يرجع إلى ضعف الخشية في قلبه.

2_التعلق بالدنيا: ترتب عنه الغفلة (أمر في غاية الخطورة)؛ فكل مَن يتعلق بالدنيا يُصيبه شيء من الغفلة، والتعلق بالدنيا له أبواب كثيرة لا يتوقف عند غلق أحدها بل لابد من غلق كل باب يشغل القلب عن أمر الله.

3_الجبر والاعتماد على النفس فيما يخص مسألة التوبة: فقد يسيطر فكر الجبرية على القلب وصاحبه غير مُنْتَبِه لذلك، وهذا يتولّد عنه سوء ظن بالله سبحانه (وفكر الجبرية يوجد عند الكثيرين)
فما هو فكر الجبرية؟ صاحب هذا الفكر يعتقد أنه مُجبر على كل ما هو فيه.

🚫 وعلينا جميعًا أن ننتبه:
فقد يكون الشخص ظاهره ومنهجه أهل سنة وجماعة ولكنه دخلت عليه بعض أفكارعقائد الفِرَق الضالّة من غير قصد، فكيف كان ذلك؟
مثال: يُحاول أحدهم التوبة مرارًا وتكرارًا من ذنب ما ويجاهد نفسه حتى لا يقع فيه إلا أنه لا يستطيع تحقيق هذه التوبة النصوح، ومع طيلة الوقت وكثرة المجاهدة وعدم إيجاد ثمرة لذلك، يدخل الفكر الجبري على هذا العبد حتى - وإن كان على درجة من العلم- فيعتقد أن الله لا يريد، وهذا يعني أن القلب قد أصيب بهذا الفكر، وإلا فما هو المقصود بقوله أنه لا يستطيع أن يتغير بالرغم من مجاهدته لذنبه سنوات وسنوات؟! هل يقصد أن الرب سبحانه جبره على ما هو فيه ؟!
- لا : لم يُجبر العبد على ما هو فيه؛ ولكن البعض مِمَن لم يُوفق للتوبة يُنظر إلى عدم التوفيق على أنه إجبار من الله له على هذا،

وهذا الاعتقاد يتولد عنه سوء الظن بالله تعالى؛ فيظن أن الله أجبر عبده على المعصية بالرغم من محاولته الفرار منها.

لماذا يريد العبد التوبة ولا يوفقه الله لها ؟ لابد أن يسأل نفسه ويبحث في هذه العوائق ويرى أيًا منها ينطبق عليه

قال تعالى:{ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)} (النساء)

4_فكر الاعتزال: وهذه الجزئية تصيب بعض طلاب العلم المتقدمين لماذا؟ لأن المتقدم في العلم أحيانًا يفرح بنفسه فهو يرى أن لديه قدرة على الفهم والقراءة وأصبح له شأن في هذا السبيل، هذا النموذج كيف يتعامل مع الذنب؟

_هذا النموذج يريد إصلاح نفسه بالمجاهدة أيضًا ولكن في طريق الجهاد دخل عليه فكر الاعتزال دون أن يشعر (أنا مَن يجاهد / أنا مَن ينتصر على نفسه / أنا مَن يفعل ويفعل..)

فهل العبد هو مَن يخلق فعله أم أن أفعال العباد مخلوقة؟ أفعال العباد مخلوقة

- بالفعل مَن يقوم بالجهاد ومحاولة إصلاح النفس هو العبد ولكن إن لم يُعنه ربه على هذه النفس فلن يستطيع اختلاع الذنب من قلبه مهما أوتي من قوة.

انتبهوا: لأن تحقيق التوازن بين الجبر والاعتزال يحتاج إلى تركيز شديد.

- ربي هو التواب الرحيم : الله هو التواب أي الذي يكثر التوبة على عباده.

(التَّوَّابُ): صيغة مبالغة، تعني توبة بعد توبة، وكم من فرد تاب عليه، وكم من ذنب اقترفناه وكم من جرم زلَّت أقدامنا فيه ونحن ننسى والله لا ينسى ولكنه يتوب مع كل هذه الذنوب والمعاصي،

- والتواب لا يتوب فقط بل يتوب ويرحم،

فإذا لم يرحم ولم يتب فعلى العبد أن يسأل نفسه لماذا؟

قال تعالى:{ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)} (التوبة)

- لماذا تاب الله عزوجل على هؤلاء (كعب بن مالك / هلال بن أمية / مرارة بن الربيع) بالرغم من تخلّفهم عن الغزوة وركونهم للدنيا؟

- بدأ الأمر باعتزال النبيﷺ لهم مدة طويلة، وكانت هذه المدة بالنسبة لهم صعبة جدًا، فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكان ندمهم شديدًا وتبرؤهم من الحول والقوة عالٍ فانتزعوا الدنيا من قلوبهم وأحسّوا بالذنب إحساسًا رهيبًا فهم مَن فعلوا هذا بأنفسهم (ليس هناك فِكر جبر) كما أنهم يُريدون التوبة ولكنها لن تكون إلا بتوفيق الله (ليس هناك فِكر اعتزال)

_هؤلاء خرجوا من فكر الجبر باعترافهم بالذنب

_ وخرجوا من فكر الاعتزال بالتبرؤ من الحول والقوة

_وخرجوا من الغفلة بترك الدنيا وإزاحتها عن القلوب، وهذا هو الفهم الصحيح لحقيقة الأمر ولهذا تاب الله عليهم.

_لقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم بما لديهم من علم وفقه وإدراك للمعاني معنى التوبة_وكيف يتوب العبد_ وتتحقق له التوبة ويوفق لها وتُقبل منه.

(الرَّحِيمُ): الرحيم ذو الرحمة الواسعة، الرحمن : هي صفة ذات، أما الرحيم: فهي صفة أفعال، فرحمته واسعة واصلة لمن شاء من العباد في الدنيا أما في الآخرة فهي للمؤمنين فقط.

سبب قبول التوبة

قال آدم عليه السلام:{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)} (الأعراف)

فبماذا توسّل آدم إلى ربه ؟ توسّل إلى الله بالربوبية (رَبَّنَا) وفي هذا اعتراف بأنك أنت الرب وأنا العبد الضعيف.

والتوسل إلى الله عز وجل لابد أن يكون بأمور مشروعة منها:

(التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا / التوسل إليه بسابق الإحسان / التوسل بعمل العبد خالصًا لوجه ربه)

- أما آدم عليه السلام فقد توسل إلى ربه بصفات الربوبية(ربنا)، أنت يا ربنا ليس لنا أحدٌ سواك ليتوب علينا فتب علينا.

(ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا): وهنا يتوسل آدم بحاله فقد اعترف بأنه ظالم لنفسه لأنه أذنب، وهذا على العكس من فعل إبليس الذي قال لربه: { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)} (الأعراف) لقد أضاف الإغواء إلى الله (كان إبليس جبريًا في اعتقاده) وكل مَن سلك مسلك الجبرية فإن سلفه هو إبليس.

- عندما أخطأ آدم فَهِم، فنسب الظلم والخطأ لنفسه

- أما إبليس فقد نسب الإغواء لله سبحانه والمقصود (أنا لم أُخطئ بل أنت من أغويتني) فتكبر للمرة الثانية.

(وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ): وهذا هو التفويض الكامل، فإن لم تغفر لنا يا ربنا وترحمنا فسنكون من الخاسرين.

- إذًا ينبغي : عند التوبة من الذنب أن يكون هناك أدب مع الله وفهم عن الله.

(وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)على العبد أن يتودد إلى ربه حتى يغفر له ذنبه سواء الذنب العارض أو الذنب المستمر(أي المتمكن من صاحبه)

_لما سلم لآدَم أصل الْعُبُودِيَّة لم يقْدَح فِيهِ الذَّنب

_أخطأ آدم وأخطأ إبليس أيضًا، ولكن خطأ آدم لم يكن عن قصد مخالفة أوامر الله أو قدحًا في حكمته كما أن خطأه لم يكن ناتج عن تعمد ولذلك علّمه ربه كيف يعتذر وكان هذا بالود والرفق والرحمة لماذا؟ لأن العليم يعلم من قلب عبده(آدم) أنه ما قدح في حكمته كما أنه لم يقصد معارضته.

- حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺيَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً. [سنن الترمذي(3540)]

- هل يمكن أن تبلغ ذنوب العبد عنان السماء ثم إذا ما أقبل على ربه يغفرها له؟ كيف يكون ذلك؟ يكون هذا إذا لم يقدح العبد في حكمة ربه وإذا لم يتعمد المخالفة.

والدليل على ذلك نجده في حديث البطاقة

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: " إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ

سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» [سنن الترمذي(2639)]

_عجز البعض عن فهم هذه الأحاديث، من هذا البعض طائفة المُرجئة الذين أخذوا هذا النوع من الأحاديث وطاروا بها فأعرضوا عن العمل وقالوا أن لا إله إلا الله تكفي للنجاة !!

- هذا الفهم خاطئ، وهل كان في ميزان آدم عليه السلام حسنات حتى يتوب الملك عليه؟ لا شيء سوى صدق الرجوع والتوبة، كما أن حال آدم وقت ارتكاب الذنب لم يكن تعمد مخالفة أوامر الله سبحانه أو القدح في حكمته.

🚫احذروا : إياكم أن تقتربوا من صفات الربوبية لأن التعامل يكون مع الملك القوي العزيز، فآدم لم يقدح في حكمة الله، وقد كان من الممكن أن يقول أن الله هو مَن أدخلني الجنة وأدخل الشيطان فيها وكذا هو مَن جعل إبليس يتسلّط علي وهو مَن خلق الشيطان فما ذنبي أنا ؟ وهذا ما يعتقده البعض أحيانًا وإن لم يتفوه به بلسانه إلا أنه يعتقده بقلبه (فكر الجبر)

_علم الله سبحانه وتعالى أن آدم عليه السلام لم يقل هذا حتى فيما بينه وبين نفسه، ولكن حين حاجه موسى عليه السلام قال:

_ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ

عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى " ثَلَاثًا [أخرجه البخاري(6614)، أخرجه مسلم(2652)]

- قال (قدّره): وذلك لحكمة لم يطعن فيها ولكنه أقرّ بها، فلم يظلمه ربه ولكن هذا الفعل حدث بحكمة ولحكمة، فَهِم آدم أن حكمة ربه بالغة وأنه لم يُظلم، هذا الفهم الصحيح أدي إلى توبة الله عليه (حقق التوبة النصوح فرُزِق التوفيق للتوبة)

_أخرج آدم عليه السلام من الجنة عقوبة ولكنه أُنزل للأرض كرامة ثم نبوة ثم أتت ذريته من بعده

_أما إبليس فقد عصى ربه وسيطر عليه الفكر الجبري فقال(فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) ونسب الظلم إلى ربه اعتقادًا منه أن ربه هو مَن فعل به هذا.

- جزئية هامة لابد من الوقوف عندها:-

_المقارنة بين حال إبليس وحال آدم لابد من الانتباه لها جيدًا لماذا؟

لأنها نقطة فاصلة بين الخروج من فكر الجبر وعدم الوقوع في فكر المعتزلة (الاعتماد على حول العبد وقوته في تحقيق التوبة).

(فَتَابَ عَلَيْهِ): لماذا تاب عليه؟ لأنه لم يتجرأ على محارم الله سبحانه ولكنه وقع في الخطأ نتيجة (تسويل النفس _تزيين الشيطان _رغبات الطبع _قهر الهوى_ الثقة في العفو_ رجاء المغفرة _والعلم بأن الرب رحيم وودود) إذًا يمكن أن يُخطئ الإنسان من هذا الباب، فإذا كانت هذه المعاني في القلوب فإن الله

يتوب على عبده أما إذا انتُزعت منها أو غابت عن العقل فلن تتحقق التوبة النصوح.

وقفة مع الآية:

مسألة توبة آدم ظهر فيها من الحِكَم الكثير منها (ذُل العبودية/ إظهار عز الربوبية) كما ظهر فيها أيضًا آثار أسماء الله عز وجل وصفاته على العباد، فهو التواب العفو الرحيم الغفور لمَن جاء تائبًا نادمًا (آدم)، كما أنه عزيز ذو انتقام، بطشه شديد، عقابه أليم، والعاصي المتكبر لن يتفلت من عقابه (إبليس).

_فتلك هي آثار الأسماء على العباد فبينما ظهرت آثار أسماء كالعفو والغفور والرحيم والودود والتواب مع آدم عليه السلام ظهرت أيضًا آثار أسماء وصفات (الجلال) عزيز ذو انتقام وبطشه شديد مع إبليس فعاقبه هو وذريته إلا التائب منهم.

_لَوْلَا تَقْدِير الذَّنب هلك ابْن آدم من الْعجب ذَنْب يذل بِهِ أحب إِلَيْهِ من طَاعَة يدل بهَا عَلَيْهِ شمعة النَّصْر إِنَّمَا تنزل فِي شمعدان الانكسار لَا يكرم العَبْد نَفسه بِمثل إهانتها وَلَا يعزها بِمثل ذلها وَلَا يريحها بِمثل تعبها وَلَا يشبعها بِمثل جوعها وَلَا يؤمنها بِمثل خوفها وَلَا يؤنسها بِمثل وحشتها من كل مَا سوى فاطرها وبارئها وَلَا يُحْيِيهَا بِمثل اماتتها

_فكلما كان الإنسان في حالة من الذل والانكسار كلما ضاع العُجب وانتُزِعَ من القلب، فالذنب الذي يصل بالعبد إلى درجة الانكسار والتوبة أحب إلى الله من الطاعة التي يعلوها العُجب.

_ شمعة النَّصْر إِنَّمَا تنزل فِي شمعدان الانكسار: فإذا أردت أن ينصرك الله ويرفع قدرك ويُعلِي شأنك فعليك بالانكسار والتذلل أمام الله عز وجل، وقليلٌ مَن يقف على هذا الباب خاصةً مع عز النفس والعلو والرقي في الطاعات والأعمال، فقد يُصاب الإنسان

وهو في هذه الحال بشيء من العُجب فيمنع عنه الانكسار وبالتالي تكون خسارته كبيرة.

_ لَا يكرم العَبْد نَفسه بِمثل إهانتها: فإكرام النفس يكون بإهانتها ابتغاء مرضات الله.

_ وَلَا يعزها بِمثل ذلها: فلا يمكن أن يصل العبد إلى عِز الآخرة إلا بذل الدنيا.

_ وَلَا يريحها بِمثل تعبها: ولن تكون الراحة إلا مع التعب، فتعب الدنيا يُورث الراحة الأبدية في الآخرة.

_ وَلَا يشبعها بِمثل جوعها: لأن الإكثار من الطعام والشبع منه يُقوي الشهوة ويمنع الطاعة.

_ وَلَا يؤمنها بِمثل خوفها: فمَن أراد أن يأمن يوم القيامة فعليه بالخوف، فالأمان في الآخرة يستلزم الخوف في الدنيا.

_ وَلَا يؤنسها بِمثل وحشتها: فالأنس على الحقيقة والأنس في الجنة وبين أهلها لن يكون إلا حين يستوحش العبد من أهل الدنيا ومعاصيهم ويبتعد عنهم، فإذا ما انفصل وانعزل عن هؤلاء كان هذا ترتيبًا للأنس الأبدي، وفرق بين الأنس المؤقت (بالناس_المعاصي_الدنيا) والأنس الأبدي (في الآخرة)

_ شراب الْهوى حُلْو وَلكنه يُورث الشرق من تذكر خنق الفخ هان عَلَيْهِ هجران الْحبَّة

_ شراب الْهوى حُلْو: عندما يسير الإنسان وفق هواه يسعد ويتلذذ ولكن { مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)} (آل عمران) وهذا هو قول ربنا

_ وَلكنه يُورث الشرق: فعندما يتناول الإنسان أطعمة مذاقها حلو بكثرة يمكن أن تؤدي إلى شرقة وهذه الشرقة يمكن أن تُميت صاحبها.

_ من تذكر خنق الفخ هان عَلَيْهِ هجران الْحبَّة: فالطير عندما يرى الحب يُسرع إليه ليأكله فإذا ما تذكر شباك الصياد علم أن النتيجة هي الموت والعاقل هو مَن لا يسعى لينال الحبة.

_فإذا تزينت لك الدنيا فتذكر ما سيحدث لك إذا ما حاولت اللحاق بها(ضياع الآخرة) واعلم أنه ينبغي عليك هجرها إذا أردت النجاة من عاقبة أمرها.

" قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) "

(قُلْنَا اهْبِطُوا): كرر الإهباط من أجل التنبيه والتذكير بشيءٍ هام ألا وهو نزول الأوامر من الله سبحانه.

(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى): أي يا معشر الإنس والجن سيأتيكم في وقتٍ ما هدىً من عند الله، فحين نزل آدم إلى الأرض قدر الرب كونًا؛ أن يكون هناك رسل يتم أرسالهم من أجل أن تنذر الناس وتبشّرهم سواء كانت معهم رسالة أم لا، فالرسول يُبعث لنُصح الناس، والهدى يأتيهم من الرسل المرسلة والكتب المنزلة.

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ): فمَن اتّبع أمري باتّباع رسلي والإيمان بكتبي فماذا ستكون النتيجة؟

(فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ): فكل مَن اتّبع الهدى نفى الله سبحانه عنه أمران هما الحزن والخوف.

_قال تعالى:{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)}

(طه) أما النفي هنا فهو نفي الضلال والشقاء

- إذًا : باتباع أوامر الله عز وجل يُنفى عن المتبع

(الحزن_الخوف_الضلال_الشقاء) أربعة أمور يُقابل نفيها إثبات لأربعة أمور أخرى، فنفي الحزن يُقابله الفرح، ونفي الخوف يُقابله الأمن، ونفي الضلال يقابله الهدى، ونفي الشقاء يقابله السعادة وليس هذا فقط بل خير منه..

_قال عز وجل :{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)}

(النور)

_بدّل خوفهم أمنًا، ومكنهم في الأرض، واستخلفهم فيها فما السبب؟

السبب هو التوحيد، فمَن حققه وصل إلى ذروة الهدى، فهو أعظم شيء يمكن أن ينال العبد به سعادة الدارين (فقد حصل له المرغوب دُفِعَ عنه المرهوب)

_(الخوف): يكون مما لم يحدُث بعد؛ أي مما هو آتٍ.

_(الحزن): يكون على شيء حدث بالفعل.

_(الضلال والشقاء): يكونا نتيجة للبعد عن الله سبحانه وتعالى.

_(وَالَّذِينَ كَفَرُوا): أي جحدوا.

_(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا): آيات الله هي الحجج والأدلة على وحدانية الله وربوبيته، وهذه الآيات يُبيّنها الرسل للعباد.

_ومَن يجحد بهذه الآيات يكون من أصحاب النار الخالدين فيها، وأصحاب النار الخالدون فيها هم الكفار لأن المسلم لا يُخلد في النار

_قال تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(36)} (فاطر)

_وقال سبحانه:{ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13)} (الأعلى)

_ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ" [أخرجه مسلم(185)]

_الشاهد: أن أهل النار المخلدون فيها هم الذين لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن هناك أناس آخرون أصابتهم النار بذنوبهم وخطاياهم فإذا ما وصلوا إلى درجة معينة (فحمًا) أُذن بالشفاعة فيُخرجون من النار جماعات جماعات، وفي هذا دليل على أنه من المسلمين مَن يدخل النار ويمكث فيها حتى يصير فحمًا ثم يخرج بالشفاعة ثم يُلقون في أنهار الجنة فيعودون مرة أخرى.

" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ(40) "

(إِسْرَائِيلَ):

يقول بعض أهل العلم في معنى إسرائيل:

-(إسرا) : معناها عبد الله وصفوته من خلقه.

-(إيل) : معناها الله، لأن يعقوب عليه السلام كان يقال عليه(اسرائيل)

_انظروا : كيف خاطب الحق تبارك وتعالى بني إسرائيل (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ): لم يقل ربنا سبحانه لهم يا قوم أو يا مخالفين يا عُصاة ولكن نادهم بيا بني إسرائيل، وإسرائيل هو نبي الله وهؤلاء هم بنوه، وهنا تكمن فائدة عظيمة وهي (كيفية استجياش الناس_جذب النفوس الشاردة _ استمالة القلوب المعرضة)

_لقد كانوا عصاة طاغين باغين مخطئين وبالرغم من ذلك جاء الخطاب بهذه الصورة (يا بني إسرائيل) يا أبناء يعقوب والمعروف أنه النبي الكريم ابن النبي الكريم ابن النبي الكريم هكذا تكون المقدمة مع المخالف المعاند، هذه الطريقة تخلق شيء من الود بين الداعي والمدعو، أما الشدة والغلظة فإنها تجعل المعرض يزداد إعراضًا

_ومن هذا الخطاب أيضًا قوله تعالى:{ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا(3)} (الإسراء)

_أي: يا ذرية الصالحين، لأن كل مَن حمل مع نوع في السفينة كانوا صالحين مؤمنين، هكذا ينبغي أن يكون أسلوب الداعي مُحلى باللين والرفق حتى يستميل قلب المدعو.
_ جاء خطاب الله سبحانه لبني إسرائيل بهذه الصورة من أجل أن يجذب نفوسهم للإيمان بالنبيﷺ وأتباعه.

(اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ): النعم التي طلب الله من بني إسرائيل ذكرها لم تأتِ في هذه الآية ولكن جاءت في آيات أخر منها..
_قال الله عز وجل:{ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)} (البقرة)
_ ذكّرهم سبحانه بسابق نِعَمه وفضله عليهم حتى تنجذب قلوبهم وتُقبل على الأمر.

_ملحوظة: عندما ننظر في القرآن نُلاحظ أن الله عز وجل في خطابه لبني إسرائيل كان تارة يُذكّرهم بالنِعَم التي أنعم بها عليهم، وتارة يُذكّرهم بسوء أفعالهم، وتارة يُذكّرهم بالعقوبات، وتلك هي طريقة الدعوة ما بين الترغيب والترهيب والتذكير بالآثام، فالترغيب يكون أولًا فإن لم يستجب المدعو بعد دعوته مرارًا وتكرارًا فعلى الداعي أن ينتقل إلى أسلوب الترهيب ثم يُذكّره بما فعل من ذنوب ومعاصي كي ينتبه لخطورة ما هو فيه.

_ لقد ذكَّر الله سبحانه بني إسرائيل **بعشرٍ من النعم**، وذكَّرهم أيضًا بعشرٍ من **الأفعال السيئة التي ارتكبوها**، كما ذكرهم **بعشرٍ من العقوبات...**

أما النعم العشر فهي:-

_قال سبحانه:{ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ}{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ}{ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}{ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ}{فَتَابَ عَلَيْكُمْ}{ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ} { وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} {فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا }{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ}{ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ}

وأما العشر الخاصة بسوء أفعالهم فهي:-

_قال الخالق سبحانه:{ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}{ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ}{ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً}{ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا}{ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}{ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}{ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ}{ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ} { يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}

وأما العقوبات العشر فهي:-

_قال تعالى:{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}{يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}{اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}{كُونُوا قِرَدَةً}{فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ}{فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ}{وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}{حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ}

_نخلص من ذكر هذا إلى أن المعاند المخالف المعرض المشاقق لله ورسوله لا تنفع معه دعوة ولا يستقيم له حال، فقد ذكّرهم ربهم جل ذكره بالنعم فلم يستجيبوا، وذكّرهم بأعمالهم السيئة فلم يستجيبوا، وذكّرهم بالعقوبات وما نزل عليهم منها فلم يستجيبوا بالرغم من ذلك أيضًا، فلا الترغيب ولا الترهيب ولا التذكير ببشاعة جرمه تُجدي معه.

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي): وهنا أيضًا لم يبيّن ما هو العهد المطلوب منهم الوفاء به ولكن أورده الحق سبحانه في: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)} (المائدة)

إذًا كان العهد المطلوب منهم هو: إقامة الصلاة_ إيتاء الزكاة_ الإيمان بالرسل واحترامهم_ إقراض الله قرضًا حسنًا، ذكر الزكاة وذكر إلى جانبها القرض الحسن، فلا يكتفي الواحد منّا بإخراج زكاة المال بل عليه أيضًا أن يُخرج قروضًا حسنة للناس كما أنه يحتاج إلى إخراج صدقات فهذا باب عظيم

(أُوفِ بِعَهْدِكُمْ): فما هو عهد الله سبحانه؟
قال تعالى:{ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}

_عهده سبحانه: هو تكفير سيئاتهم وغفران ذنوبهم الخالية من الإصرار والتكبر والمعاندة والشقاق وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

_وكان مما ذكّرهم ربهم به: النعم التي أنعم بها على البشر، وأن الإنسان قابل هذه النعم بالجحود، فمع سِعة رحمة الله وحلمه عليهم كانوا مُصرين على ارتكاب المعاصي، قتلوا الأنبياء فأمهلهم، وارتكبوا الأفعال الشنيعة فلم يعاجلهم بالعقوبة، إمهالٌ بعد إمهال إلى أن أصبح ما هم فيه طبع.

(نِعْمَتِيَ): فما هو أصل النعمة؟ هو أن ينال الإنسان شيء يُوافق نفسه (أي ينشرح صدره له_ يرتاح بدنه فيه) هذا هو منظور العوام للنعم حيث النعمة الظاهرة.
_أما المؤمن التقي النقي الفطن فإن منظور النعمة بالنسبة له(النعمة التي توافق باطنه) وهذه النعمة تكون سببًا في سعادة صاحبها في الباطن كما أنها تكون سببًا في دخوله جنة عرضها السماوات والأرض.

(أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ): أي بها، ودللت على شرفها بإضافتها إلى عليكم، والنعمة شريفة لأن مَن أنعم بها هو الله وشرف النعمة يكون من شرف المُنْعِم.
(وَأَوْفُوا): من الوفاء وهو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق.
(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي): مَن يفي بعهد الله ينل السعادة والفرح والأمن والهدى ويصرف عن قلبه الخوف والحزن والضلال والشقاء هذا في الدنيا أما في الآخرة ففيها تكفير السيئات ودخول جنة رب العالمين.
(وَإِيَّايَ): إياي: تخصيص فالخوف كله من الله كما أن الخشية كلها لله، لم يقل سبحانه(فخافوا) ولكن قال (وإياي) : فيها تنبيه على أن الرهبة كلها والخوف كله خاص بالله عز وجل.

(فَارْهَبُونِ): خافوا، والرهبة: حذر النفس مما شأنها منه الهرب لأذى تتوقعه.

_فإذا كان لدى النفس رهبة من خالقها فإنها ستحذر من المعصية لماذا ؟ لأنها تهرب من شيء سيترتب عليه أذى متوقع، إذن الهروب يكون من المعاصي والمخالفات والذنوب لأن العبد المؤمن لديه يقين في أن الذنوب والمعاصي تُوقع صاحبها في المحظور (في الدنيا والآخرة).

_يُخاطب الرب سبحانه بني إسرائيل (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) خافوا حتى لا تلقوا مصير مَن سبقكم من الكفار والأقوام السابقة من الذل وأنواع الهوان في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.